

مجلة المنار المصرية وإسهامها في ظهور إصلاحيين بين مسلمي ملايا و نوسانتارا

ليث سعود جاسم القيسي

المقدمة:

منذ الغزو المغولي للعالم الإسلامي، مصر تعتبر ولا تزال حاضرة المسلمين الثقافية وبوتقة للتفاعلات الفكرية المؤثرة في مسار العالم الإسلامي عامة والجزء العربي من العالم الإسلامي خاصة، بل جمعت من خلال الأزهر الزعامة العلمية في العالم الإسلامي وتفاوتت هذه التأثيرات من فترة إلى أخرى، فآثارها كمثال حلقات الموجات المائية التي تبدأ بمركز الفعل ثم تتوالى حلقات التردد بصورة متوالية لتغطي المحيط بفارق زمني نسبي.

وعالم الملايو ونوسانتارا هو أحد البقاع التي تأثرت و أثرت على ضوء تداعيات الأحداث التي وقعت في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مع الأخذ بنظر الاعتبار العامل الزمني والاتصالي في تلك المرحلة التاريخية الحافلة بالمتغيرات، والأمة المسلمة كالجسد الواحد الذي تتداعى له كافة أجزائه بتأثير أي جزء منه في أطرافه الأخرى.

وقد قامت الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر على ضوء مشروع الوحدة الإسلامية (Pan Islamism) بمحاولة لربط العالم الإسلامي بشبكة من وسائل الاتصال الفعالة مثل:

* إنشاء سكة حديد الحجاز، المشروع الاستراتيجي في ربط البلاد ما حول مركز الدولة استانبول ببغداد ودمشق وبيروت والقدس الشريف والمدينة المنورة، وما يتفرع عن ذلك من فروع في بلاد الشام خاصة.

* ربط العالم الإسلامي بشبكة التلغراف وكانت هي الآلة الاتصالية الخطيرة آنذاك حيث أنشئت محطات في عواصم الولايات العثمانية ومدنها الرئيسية من مراكش في الغرب إلى جاوا في الشرق.

* الربط الإعلامي بالصحف والمطبوعات وعموم الإنتاج الثقافي والإعلامي، وقد أنشئت المطبعة المكية وغيرها.

* ربط التعليم الإسلامي من خلال الأزهر الشريف الذي أعطى مصر الزعامة الدينية في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين الميلادي والتي توثقت مع عالم الملايو وجزر نوسانتارا - وهي أرخبيل جمهورية إندونيسيا اليوم⁽¹⁾ - بإقبال الطلاب لتلقي العلم في الأزهر بعد أن كانت الوجهة نحو مكة المكرمة، فالجيل الأول من علماء الملايو كانوا من خريجي المدرسة المكية والتي كان من أشهر أعلامها محمد طاهر جلال الدين والشيخ داود فطاني وأحمد محمد زين فطاني والحاج أحمد بن محمد سعيد اللنفي وطاهر جلال الدين والشيخ تكنالي وغيرهم، كما سنفصل في ذلك في المحور الثاني.

وأهمية دراسة تلك الفترة ضرورية لأنها رسمت الخريطة الفكرية والجغرافية السياسية للعالم الإسلامي في القرن العشرين المنصرم فضلاً عن بيان التواصل الإعلامي وأثره في تغيير الأفكار والمواقف، والقضايا الملايوية التي كان لها صداها في مجلة المنار المصرية ذائعة الصيت هي جزء من عملية المخاض الذي كان يمر به العالم الإسلامي، وأهم تلك القضايا:

- الوحدة الثقافية الإسلامية، الرحم الذي يتواصل به مسلمو العالم.
- وحدة العالم الإسلامي وما آلت إليه.
- الاستعمار الحديث وآثاره.
- الإصلاح في المجتمع الإسلامي واتجاهاته.

وقد تفاوتت المناهج والمواقف في التعامل مع هذه التحديات، ولا سيما وأن العالم كان يتجاذبه

محوران من القوى العالمية الرئيسية:

1- هناك تعريفات متعددة لتحديد الحدود الجغرافية لمناطق المسلمين في جنوب شرق آسيا عبر التاريخ، فالبعض يطلق عليها عموماً اسم "عالم الملايو"، وآخرون يفضلون تسمية "نوسانتارا"، وتعود هذه الاختلافات إلى خلفية الكاتب إن كانت من سكان المنطقة أو من المنطقة العربية أو من المستشرقين، كما أن هناك تكوينات إثنية وعرقية متعددة وتداخل في سيادة السلطنات التي قامت في المنطقة قبل الإسلام وبعده، وللخروج من هذا الجدل وتسهيلاً على القارئ الكريم سنستخدم اسم "نوسانتارا" تعريفاً لجزر إندونيسيا اليوم قبل استقلالها، وسنقصد بمصطلح "ملايا" ما سوى تلك الجزر من مناطق المسلمين في جنوب شرق آسيا ويضم ذلك اليوم: ماليزيا - سنغافورة - جنوبي تايلاند أو فطاني وبروناي. وتسميتنا هذه تاريخية قبل أن تستقل هذه الدول كلها وتحمل أسماءها المعاصرة بحدودها وتقسيماتها الجديدة.

المحور الأول: الدولة العثمانية:

وهي التي كانت محصلة لحركة المجتمع الإسلامي، وكانت تمثل آخر كيان سياسي يدير الدولة الإسلامية سياسيًا وحضاريًا، فكانت الدولة العثمانية تحكم آسيا وأجزاء من أوروبا وإفريقيا، وقد بدأ يصيب دولتها ما يصيب الدول من الآفات كما يقول ابن خلدون ولأسباب متعددة وتلك سنة الله.

المحور الثاني: القوى الغربية الفتية:

التي تتطلع إلى قيادة العالم والتي بدأت تحركها بسقوط الأندلس في القرن الخامس عشر فبدأت ثم تحالفت لإزالة الدولة العثمانية التي أطلقوا عليها وصف "الرجل المريض"، ونشطوا لتفاسم تركته، ثم تطور المصطلح إلى ما سمي "المسألة الشرقية"، وعلى أرض الواقع تحركت الدول الغربية عبر الغزو العسكري الذي حقق أهدافه في استعمار العالم الإسلامي بصور متنوعة مباشرة أو غير مباشرة، ولذلك نجد أن العالم الإسلامي تحت تأثير هذه المتغيرات تفاوتت اتجاهاته في طرق الإصلاح ومواجهة حركة الاستعمار أو الاستدمار على الأصح.

ضمن هذا الإطار يتناول هذا البحث دور مجلة المنار المصرية في نقل حس المجتمع الملايوي الإسلامي إلى العالم الإسلامي، وبالعكس بنقل نبض العالم الإسلامي إلى بلاد الملايو وجزر نوسانتارا، لتتجلى عظمة هذا الدين الذي وحد البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم على عقيدة واحدة عقيدة التوحيد، وشدهم إلى قبلة واحدة ومصدرية معرفية واحدة، كل ذلك صاغ الشخصية المسلمة في قواسم مشتركة مع بعض الخصوصيات ولكنها تلتقي في تناغم عقدي فكري سلوكي، ولذلك نجد أن مجلة المنار تشرح معاناة عالم الملايو من الاحتلال، وفي خضم المعاناة لم ينس شعب الملايو واجبه تجاه الدولة العثمانية ونصرته لها في مرحلة تكالب الأعداء عليها، وتعكس لنا الفتاوى وأسئلتها عن مشكلات لازلتنا لم نتجاوزها ومستجدات تطلب حلاً لها فيسهم الشيخ رشيد رضا وغيره في محاولة حلها وتوجيهها.

وينقسم البحث الذي بين أيدينا إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، تتناول المقدمة الفكرة العامة للبحث:

- 1- ويتناول المحور الأول حياة منشئ مجلة المنار السيد رشيد رضا ودوره وإنتاجه العلمي.
- 2- وأما المحور الثاني فيتبع القضايا الملايوية التي تناولتها مجلة المنار إحصاء وتحليلًا، وقد استهدفت المجلة بناء رؤية صحيحة للإصلاح ومعالجة الأخطاء بحكمة وحنكة.
- 3- بينما يتناول المحور الثالث مجالات تأثير فكر المنار على التوجهات الإصلاحية لمسلمي ملايا وجزر نوسانتارا.

المحور الأول: منشئ المنار السيد محمد رشيد رضا (1282-1354هـ/1865-1935م):

منشئ المنار هو السيد محمد رشيد السيد علي (القلموني)⁽²⁾ الحسيني، ويروى أن أصل أسرته يرجع إلى آل البيت وأن أسرته جاءت من الحجاز وسكنت في مدينة النجف بالعراق ثم نزحت إلى بلاد الشام واستقرت في مدينة القلمون. ولد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام وتعلم في مدارسها وتلقى العلم على الشيوخ وعلماء عصره وأبرزهم الشيخ حسين الجسر، فتربى تربية دينية صوفية وحفظ القرآن وتعلم العلوم الشرعية والعصرية بالإضافة إلى اللغات العربية والتركية وقليل من الفرنسية. وفي طرابلس اطلع على الأعداد الأولى لمجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وحاول الاتصال بالأفغاني لكنه توفي ولم تتحقق أمنية رشيد رضا في لقائه. ثم سافر عام 1897م/1315هـ إلى مصر وهناك لازم محمد عبده حتى وفاته عام 1905/1323هـ⁽³⁾.

المنار ومسيرتها:

أصدر الشيخ رشيد رضا جريدته المنار الأسبوعية التي تحولت إلى مجلة شهرية في عامها الثاني⁽⁴⁾، وكان فكر الأفغاني ومحمد عبده واضحا في كتابات رشيد رضا⁽⁵⁾. وقد حدد الشيخ رشيد رضا سياسة الجريدة التحريرية في العدد الأول من المنار وبيّن الغرض من إنشائها بأنه الإصلاح الاجتماعي

2- القلمون: مدينة صغيرة تابعة إلى مدينة طرابلس شمال لبنان، انظر: أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، دار عمار، عمان، ط1، 1998م، ص 13-14.

3- محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار (1898-1935م)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص 29-37. وانظر: أحمد الشرباصي، رشيد رضا: الصحفي والمفسر والشاعر اللغوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1976م، ص 229-291. وانظر الزركلي، الأعلام، 1/126. وانظر: محمد كرد علي، المعاصرون، ص 334-335. وانظر: فتحي يكن، الموسوعة الحركية، دار البشير، عمان، ط 2، 1403هـ/1983م، 1/81-84. واشترك رشيد رضا مع محمد عبده في عدة جمعيات مثل جمعية "التقارب مع الأديان" وغيرها. وانظر: أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، 43-66. انظر: محمد بن عبد الله السنان، الشيخ رشيد رضا السلفي المصلح، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1412هـ/1993م، ط1، ص 6-32.

4- انظر: محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 1، 1414هـ/1993م، 3/134. ويذكر رشيد رضا أن محمد عبده قال له: "أن الحرية التي كانت في مصر كافية للنهوض بإصلاحها وإنما كان العائق فساد الأخلاق" انظر: المصدر السابق، 3/134.

5- انظر: سامي عبد العزيز الكوفي، الصحافة الإسلامية في القرن التاسع عشر، ص 92-94، أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، ص 31-33.

والتربوي، ولكنه سكت عن بيان منهجه في الإصلاح السياسي وصرح بنزعته وميله وخدمته للدولة العثمانية وللسلطان عبد الحميد، وكان محمد رشيد رضا حريصاً على عرض ما يكتبه في الجريدة على الشيخ محمد عبده وسامع توجيهاته وإرشاداته والذي كان يعترض على خوض مجلة المنار في المسائل السياسية واقترح أن يقتصر دوره على التربية والتعليم والقضاء على الخرافات والبدع الضالة والتي هي برأيه أسباب تأخر المسلمين⁽⁶⁾. ولذلك لم تظهر مقالات لمحمد رشيد رضا التي تتناول الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي وتهاجم الدولة العثمانية إلا بعد وفاة محمد عبده (1905م / 1324هـ).

رشيد رضا و حركة الجامعة الإسلامية:

وقد جعل رشيد رضا محور نشاطه في المنار إعادة اهتمام المسلمين برابطتهم الدينية وتقوية وحدتهم والتفاعل مع حركة جامعتهم الإسلامية، وكان يردد دائماً أن الاجتماع أمر فطري طبيعي في النوع البشري وأن الرابطة الدينية هي أوسع الروابط وأكملها، واستشهد بأحداث التاريخ ليبيّن أن مقياس قوة المسلمين أو ضعفهم هي بمقدار الرابطة الدينية بينهم أو ضعفها، أما موقف الشيخ محمد رشيد رضا من سياسية السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فكان مؤيداً له وكان يدعو إلى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ودعمها باعتبارها آخر ما تبقى للمسلمين من دولهم المستقلة استقلالاً كاملاً إلى جانب الاعتراف بالخلافة العثمانية⁽⁷⁾ كأمر واقع وأن الخلافة ضرورة وهو مقتضى مفهوم أهل السنة للخلافة غير المستوفية لكافة شروطها الشرعية في وقت صار الاستعمار سائداً في كثير من دول العالم الإسلامي وبدأ يزحف ليسيّط على ما تبقى من أراضيه، فحتى مع وجود الخلافة العثمانية آنذاك كانت شرعية الخلافة وضرورتها موضوع نقاش في ذلك الوقت بين مثقفي وعلماء الأمة من شتى التوجهات.

6- مجلة المنار المصرية، م 12، ج 1، ص 2. وعن موقف محمد عبده من الدولة العثمانية وسلطانها حتى سنة 1908م، أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار، الأردن، 1984م / 1404هـ ط 1، ص 78-80. وانظر: محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 37-39. وانظر ص 111-113، وعبد الباسط محمد حسن، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الحديث، ص 228. وكان الناس في مصر فريقين: فريق يؤيد الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد باعتبارها دولة الخلافة الكبرى، والدين الإسلامي يفرض طاعته وتأييده، وبشكل هذا الفريق غالبية أهل مصر وعلى رأسهم مشيخة الأزهر وزعماء آخرون مثل مصطفى كامل وغيره. وفريق آخر يجاهر بالعداء للدولة العثمانية والسلطان، وأغلبهم من نصارى الشام ودعاة القومية العربية واليهود وأعضاء تركيا الفتاة، وقد كان الاحتلال البريطاني يساند هذا الفريق، انظر: أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، ص 186.

7- كان رشيد رضا وشيخه محمد عبده على اعتقاد أن السلطان عبد الحميد هو رمز الخلافة الإسلامية والممثل الشرعي لها وحامي الدين بالرغم من كونه لا صلة له بالنسب القرشي وأن السلطنة العثمانية هي "ثالث العقائد التي يجب أن يعتقد بها المسلم بعد الإتيان بالله ورسوله". انظر: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، م 1 ج 3، ص 66-67 في أبريل 1898م.

كان رشيد رضا يرى أن "العثمانية" جنسية أمته المتنوعة في الأعراف واللغات ويرفض مذهب الأوربيين في جعل اللغة مناط الجنسية⁽⁸⁾، أما رأي رشيد رضا في فهم حركة الجامعة الإسلامية فقد كان في نفس الاتجاه الذي دعا إليه السلطان عبد الحميد الثاني، أي بجعلها وسيلة لتوحيد المسلمين روحياً وسياسياً في العالم أو تقريبهم حول الخلافة العثمانية و سلطانتها للوقوف بوجه التحديات التي تعانيها الدولة العثمانية والمسلمون من مخططات غربية تهدف إلى تمزيق العالم الإسلامي و الاستيلاء عليه .

الدعوة للإصلاح:

بعد عام 1905 م/ 1326 هـ أي بعد وفاة محمد عبده بدأ محمد رشيد رضا يكتب نوعاً جديداً من المقالات التي تتناول الأوضاع السياسية في أنحاء العالم الإسلامي، داعياً إلى ضرورة أن تأخذ الدولة بأسباب الإصلاح الشامل وأن لا يقوم السلطان بجمع كافة السلطات بيده بل عليه إيجاد نظام شوري⁽⁹⁾ يعاونه في إدارة شؤون دولته، ودعا إلى توزيع السلطة على أشخاص أقوياء وأمناء على أن يبقى السلطان على رأس السلطة يراقب ويتابع⁽¹⁰⁾، هكذا كان مجمل موقف رشيد رضا من السلطان عبد الحميد حتى وقت ثورة الاتحاديين (1326 هـ - 1908 م) حيث أظهر الخضوع والطاعة الكاملة لنفوذه⁽¹¹⁾.

ثم تغيرت لهجة رشيد رضا بعد أن خلع الاتحاديون السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909 م/ 1327 هـ واستبدلوا أخاه محمد رشاد به (1909-1918 م/ 1321-1337 هـ)، فعاود إلى مدحهم من جديد فأشاد بعملهم وسماهم "أحرار سلاطيك الذين نجحوا في إعادة الدستور"، وسمى محمود شوكت

8- لكنه في الأصل يرى أن الخلافة الإسلامية لا بد أن تستكمل شرطها الأساسي وهو النسب القرشي. انظر: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، م 1، ج 1، ص 66-67، و م 23، ج 1، ص 45-102. وانظر: أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص 82. وانظر: أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، 1983 م، 1/ 32-37.

9- أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، ص 188. أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص 79-80. وانظر: محمد مخزوم، أزمة الفكر ومشكلات السلطة السياسية، ص 93-95.

10- ومن الجدير بالذكر أن ما أشار إليه رشيد رضا كان ممارسة في الدولة العثمانية فكان هناك مجلس شوري للدولة الذي يضم مجموعة مختارة من زعماء الأمة وقادة الفكر والسياسة من كل أقطار الدولة العثمانية وكان السلطان يستأمن بمشورتهم في أمور إدارة ولايات الدولة، أما السلطة فكان على رأسها السلطان وجناحها موزعة بين الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) لكل ما يتعلق بشؤون الإدارة والحكم، والمشيخة الإسلامية عن كل ما يتعلق بجوانب التشريع الإسلامي، انظر: أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، ص 188-189، وانظر: محمد رشيد رضا، مقال بعنوان: أركان الإصلاح للدولة، مجلة المنار، م 1، ج 37، ص 741، م 1، ج 38، ص 751-752.

11- انظر: محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 117.

الذي قاد الانقلاب العسكري بـ: "الفاروقي" تشبيها له بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكر فرحه في إخراج السلطان من قصره إلى منفاه في سلانيك بعد إبلاغه قرار الخلع على يد وفد من مجلس المبعوثان⁽¹²⁾ ولكن دون أن يذكر رضا أسماء أعضاء الوفد الذي كان عمانوئيل قره صو اليهودي من بينهم. واستمر موقفه في التغيير حيث وصف رشيد رضا أعضاء "الاتحاد والترقي" بأنهم "أحرار العثمانيين" معتبرا ضباطهم بأنهم "ذوي الغيرة والنباهة والحمية والبسالة" بعد أن كان يصفهم قبل توليهم الحكم في مقالاته بملاحدة المتفرنجين⁽¹³⁾.

استبشر رشيد رضا خيراً بالانقلاب من أجل إصلاح الدولة العثمانية وضمان حقوق كافة الرعايا العثمانيين وهاجم السلطان عبد الحميد الثاني ونقد سياسته وكأنه لم يكن ذلك الصحفي المدافع عنه من قبل هذا التاريخ، ولكن لم يدم موقفه هذا تجاه الاتحاديين، فبعد أن ظهرت حقيقتهم وموقفهم المعادي لروح حركة الجامعة الإسلامية أعلن رشيد رضا موقفه الصريح المعادي للأتراك الاتحاديين وأنكر على العرب مساعدتهم للقوميين الجدد من الأتراك من أجل استعادة مجدهم، معتقدا أن الأتراك ليس لهم فضل على العرب طيلة تاريخ حكمهم الطويل، وخصوصا بعد أن زار استنبول عام 1909-1910م/ 1327-1328هـ، مازاً بالشام وشاهد هناك أعمالهم العنصرية ضد العرب⁽¹⁴⁾.

ويظهر من هذا أن مواقف رشيد رضا اتسمت بالتباين والتغير السريع الحال في كثير من القضايا، فيصدر مرة آراءً حادة تؤيد الاتحاديين بخلع السلطان ويؤيد إعلان الدستور الجديد، ثم يتراجع ويهاجم الاتحاديين بعد ذلك⁽¹⁵⁾ وذلك كله سببه عدم وضوح الرؤية واختلاط المواقف.

-
- 12- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، م 12، ج 4، 280، م 4، ج 12، ج 4، ص 299، م 29، ج 16، ص 456 و 465-474، مع العلم أن إعلان الدستور لم يجد ارتياحا لدى رعايا الدولة العثمانية في أكثر ولاياتها ولم يساندتهم إلا الفئات التي كانت لا تؤيد الجامعة الإسلامية والنصارى واليهود في مصر والشام. انظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، ط 3، 1960م، ص 17. وانظر: أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، ص 305-328. وانظر: أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، 1/ 53-45.
- 13- انظر: رشيد رضا، مجلة المنار، م 12، ج 11، ص 824 و 909، م 2، ج 4، ص 276. ومحمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 117-225.
- 14- محمد رشيد رضا، المنار، مقال بعنوان: عيد الأمة بنعمة الدستور والحرية، م 11، ج 6، ص 417-418، م 11، ج 6، ص 468، ومقال بعنوان: الاحتفال بعودة الدستور، م 14، ج 9، ص 713، م 14، ص 318، 375، ص 754، م 14، ج 10، ص 915.
- 15- انظر: مفصلاً، أحمد الشوابكة، محمد رشيد رضا، ص 190-192، انظر: محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 129-150.

فقبل الحرب العالمية الأولى تغير موقفه من الإنجليز وأخذ يهادنهم ويحاملهم وقال: "لا يزال أكثر الناهين العثمانيين يفضّلون الإنجليز على كل الدول الأوروبية"، وقد كان معجباً باللورد كرومر بوجه خاص لأنه كان صديقاً لشيخه⁽¹⁶⁾، وقد أظهر إعجابه بالاستعمار الإنجليزي مقارنةً بإياه بالدول الاستعمارية الأخرى مثل روسيا وهولندا وفرنسا بعدما عدد خصائص كل أشكال الاستعمار الأوربي آنذاك، فوصف الإنجليز بأنهم "أبرعها وأذكاها" "وأقدر أمم الأرض على الاستعمار وأبرعهم في السيادة لأنهم يسايرون الطبيعة في سننها ويحكمون بالعقل أكثر مما يحكمون بالقوة ولذلك سادوا على القبائل والشعوب ولم يمنعوا أحداً ممن سادوا عليهم أن يرتقوا في العلوم"⁽¹⁷⁾.

ثم تحول بعد ذلك إلى تأييد حكومتي السعودية واليمن واصفاً هاتين المملكتين بأنهما الدولتان الحرتان اللتان لم تخضعا للاستعمار. وكان مؤيداً للملك عبد العزيز آل سعود على وجه الخصوص. أهم آثاره الفكرية:

- مجلة المنار و طبعت في خمسة وثلاثين مجلداً.
- تفسير المنار، وهو تفسير القرآن الكريم في اثني عشر مجلداً، و توفي رحمه الله ولم يكمله.
- تاريخ الأستاذ الإمام في 3 أجزاء: يضم تاريخاً مفصلاً عن جماعة العروة الوثقى، ودعوة الأفغاني، وترجمة حياة محمد عبده، وجمع فيه مؤلفاته وكتاباتة في الصحف ويعتبر أهم كتاب عن حياة الأفغاني وعبده ودعوتها.
- وكتاب الخلافة أو الإمامة العظمى ونداء للجنس اللطيف ورسالة الربا والمعاملات في الإسلام وغير ذلك⁽¹⁸⁾.

وقد توفي الشيخ رشيد رضا رحمه الله في القاهرة سنة 1935م / 1354هـ على إثر حادث اصطدام بسيارته.

16- انظر: محمد رشيد رضا، المنار، م 9، ج 4، ص 286. مقال العدد.
 17- انظر: المصدر نفسه، م 14، ج 5، ص 347-348.
 18- انظر: محمد صالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 63-72. كانت أكثر هذه الكتب باستثناء تاريخ الأستاذ الإمام وتفسير المنار والوحي المحمدي، كانت عبارة عن فصول نشرت في مجلة المنار ثم جمعت فيما بعد بحسب الموضوع الذي تناوله والمظهر الفكري الذي سارت عليه ولذلك تبقى مجلة المنار هي الأصل الجامع لكل تلك الكتب مهما تباعدت مدة صدورها. المصدر السابق، ص 72. وانظر: محمد بن عبد الله السنان، الشيخ رشيد رضا: السلفي المصلح، ص 45-56.

المحور الثاني: أهم القضايا الملايوية في مجلة المنار: تصنيف وتحليل:

بعد هذا التمهيد المختصر عن المنار وصاحبها سنتناول في هذا المحور مسحا عاما لأهم الموضوعات الملايوية المتوزعة بين صفحات خمسة وثلاثين مجلداً هي مجموع مجلدات مجلة المنار المصرية، سواءً من خلال إسهام المسلمين في ملايا ونوسانتارا في موضوعات المجلة أو من خلال الموضوعات التي تناولت مجلة المنار لمعالجة قضايا عالم الملايو وأرخييل نوسانتارا.

فالمسلمون في منطقة جنوب شرق آسيا يشكلون أكبر كتلة إسلامية في العالم الإسلامي يعود أصلها إلى عرق واحد مع وجود إثنيات لغوية و مناطقية مختلفة تنفرع من ذلك الأصل، وهم على دين واحد مع أن الكثير من معتنقي الأديان من أعراق أخرى يعيشون بين ظهرانيهم، كما أن جذور لغتهم الرئيسية أو الأوسع انتشارا تعود إلى أصل واحد وهي المعروفة اليوم باللغة الملايوية في ماليزيا وسنغافورة وجنوبي تايلاند وسلطنة بروناي إلى جانب اللغة الإندونيسية القريبة منها، مع أنه قد ظهرت لهم لهجات محلية مختلفة لهذه الجزيرة أو تلك، إلى جانب لغات قائمة بذاتها لقومياتهم كاللغة الجاوية في شرق ووسط جاوا واللغة السندانية في غرب جاوا على سبيل المثال.

هذا العالم الشاسع مساحةً دخله الإسلام دعوةً وبدون أن تحيish السرايا والجيش في مرحلة مبكرة منذ فجر الإسلام، وقد قامت سلطنات إسلامية في جزر سومطرا و جاوا وبورنيو وشبه جزيرة الملايو وسولاويزي وغيرها، وأول سلطنة إسلامية حسب بعض المصادر في المنطقة هي سلطنة دماك (1478م)، ولكن بعد قرون من سيادة السلطنات والدويلات الإسلامية خضع عالم الملايو ونوسانتارا للاحتلال من قبل الدول الاستعمارية المختلفة مثل الاحتلال البرتغالي والهولندي والإنجليزي والياباني.

المنار واهتمامها بعالم الملايو ونوسانتارا:

وقد تواصلت مجلة المنار مع عالم الملايو ونوسانتارا بعد فترة من صدور أول عدد لها في 22 من شوال 1315هـ الموافق 15 من مارس 1898م، وفي هذه الصفحات سنتعرض للقضايا التي تعرضت لها مجلة المنار والتي توسعت باستمرار، وكان لها أثرها في الواقع الملايوي ومشاركة مسلمي الملايو في قضايا العالم الإسلامي والتحديات التي تواجهه.

كان تواصل المنار مع المجتمع الملايوي من خلال ثلاثة أبواب على صفحاتها:

الباب الأول: الأخبار التاريخية.

الباب الثاني: باب فتاوى المنار.

الباب الثالث: الموضوعات المتنوعة في عرض القضايا السياسية والاجتماعية في المجتمع الملايوي، ويلاحظ من خلال استقراء القضايا المطروحة أنها تعالج في كل باب من أبوابها ما يتوافق وطبيعة الباب فهي بين خبر تاريخي وسؤال وفتوى أو موضوع متخصص.

لقد أولت مجلة المنار اهتمامها بمسلمي جنوب شرق آسيا، وذلك بعد أن تلقت في عددها الأول للسنة الثانية رسالة تحمل شكوى من ظلم الاحتلال الهولندي، واستمرت المكاتبات بين مجلة المنار وعلماء ملايا ونوسانتارا، وطفقت الرسائل تصل المنار تسأل وتستفتي وتتقد وتشكر وتوضح وتعلق أو تصحح معلومات معينة، وأصبح لـ: مجلة المنار شهرتها في أرخبيل الملايو ونوسانتارا أو كما يطلق عليه في المنطقة العربية بـ: عالم الملايو، وفيما يلي إحصاء تحليلي لتلك المراسلات من خلال الأبواب الثلاثة التي ذكرنا:

الباب الأول: الأخبار التاريخية:

هذا الباب يتضمن أخباراً تاريخية عامة، منها: تاريخ مناسبات معينة كذكرى صعود السلطان للسلطنة أو ثبوت شهر رمضان أو عيد مصر الوطني أو أخبار صدور بعض الصحف الجديدة أو بعض المراسلات من أماكن عالم الملايو، بالإضافة إلى أخبار العالم الإسلامي، وبعضها رسائل تعريف ببعض مشاكل العالم الإسلامي.

وقد ورد في هذا الباب ثمان قضايا في المجلد الأول والثاني اللذين بدءا من 14 مارس 1898م وحتى 11 مارس 1899م. وقد ذكرت الأخبار الخاصة بالملايو ضمن موضوعات عامة مثل: التبرعات للسلطنة العثمانية في الحرب اليونانية أو تبرعات لسكة حديد الحجاز أو تبرعات لأسر الشهداء وموضوعات أخرى، وتضمن هذا الباب أخباراً نفسية تدل على التلاحم بين المسلمين في مختلف بقاعهم وتجواب أقصى الشرق الإسلامي مع أقصى الغرب الإسلامي، وما يحدث من حدث إلا ونجد صداه في المجتمع الملايوي.

وقد سجلت لنا مجلة المنار جميع المراحل الفكرية التي مر بها خطاها السياسي المتقلب بشكل واضح: مرحلة التأييد للدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، مرحلة النقد، مرحلة الهجوم على الدولة العثمانية، مرحلة الثناء والمدح والتأييد للاتحاديين، مرحلة النصح للاتحاديين، مرحلة مهاجمة الاتحاديين والتيار الكمال، مرحلة تأييد الحكومة السعودية واليمينية ومرحلة التفكير بمنهج جديد للإصلاح. وقد غطى هذا الباب ثمانية أخبار بعضها متداخل وذلك في المجلد الأول والثاني للفترة من 14 مارس 1898 إلى 11 مارس 1899 ثم توقف هذا الباب بما في ذلك تلك الأخبار.

الجامعة الإسلامية وصدائها في عالم الملايو ونوسانتارا:

سجلت لنا مجلة المنار تفاعل عالم الملايو ونوسانتارا مع مشروع حركة الجامعة الإسلامية (Pan Islamism) التي نادى بها السلطان عبد الحميد الثاني، فلذلك نجد أن صدى هذا الأمر كان له تأثيره في البيئة. ومن أوجه التفاعل (19):

- 1- التبرع لمشروع سكة حديد الحجاز.
- 2- التبرع لأولاد الشهداء في الحرب اليونانية، وقد أرسل أهل سنغافورة مبلغ 249 ليرة ذهبية عثمانية لهذا الغرض.
- 3- التبرع لاستعداد الجيش العثماني في اليونان.
- 4- أهل آتشيه على وجه الخصوص كانت لهم علاقات متينة مع العثمانيين وخاصة خلال فترة الاستعمار الهولندي، وهذا ما انعكس على تفاعل الأتراك الواضح والواسع مع كارثة التسونامي التي ضربت إقليم آتشيه في ديسمبر من عام 2004م، حيث كان القائمون على المساعدات التركية من الشباب المسلم التركي يؤكدون أن ما يقومون به تجاه منكوبي آتشيه ليس إلا رداً لجميل الأتشرين قبل عشرات السنين تجاه الدولة العثمانية.
- 5- ومما يعبر عن أعلى درجات التفاعل قول السلطان عبد الحميد الثاني أن حكومة هولندا حاولت طرد السفير العثماني من جزيرة جاوا وطالبت الباب العالي بسحب سفيرها، وقد ذكر ذلك السلطان عبد الحميد في مذكراته السياسية (20).
- 6- طلب الكثير من الملايويين والجاويين وغيرهم من مسلمي المنطقة العثمانية ولكن هولندا ساءها ذلك فطلبت من الباب العالي أن يستدعي قناصله من مستعمراتها لأنهم يزرعون محبة الدولة العثمانية العلية في قلوب المسلمين.

المنار مرآة لأعمال الاحتلال الهولندي لنوسانتارا:

كانت المنار متنفساً لأهل جزيرة جاوا وما جاورها، فأول رسالة تأتي المنار من مدينة بتافيا (وهي جاكارتا العاصمة الإندونيسية اليوم) يستند فيها صاحبها بالدولة العثمانية ويقول في رسالته (21):

19- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، م 1، ص 283، 350، 628، 899.

20- عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، 35.

21- رشيد رضا: مجلة المنار، م 2، ص 397-398.

"غرضنا هو مساعدة الدولة العلية لنا في فك الأغلال التي وضعتها حكومة هولندا .. فقد ضيقت علينا .. فليس لنا مدارس وليس لنا أساتذة، وتدخلت في كثير من أمورنا الدينية كعقود الأئكة وتعطيل بعض المساجد من إقامة صلاة الجمعة، .. ومنعت الاجتماعات في المساجد لأكثر من سبعة أفراد بدون إذن الحكومة ولو لقراءة المولد الشريف أو وليمة لزواج!؟، واشترطت على كل من يريد السفر الداخلي أن يحمل جوازاً (باسبورت) حتى لو كانت السفارة لميلين(22).

والموضوع الثاني في الأخبار التاريخية الشكوى من ظلم هولندا: يشكر فيها صاحب مجلة المنار على اهتمامه بالمسلمين في عالم الملايو ونوسانتارا والحديث بتفصيل في مجلة المنار، ثم يخاطب الدولة العثمانية لترسل سفينة حربية تخيف بها الأعداء(23).

الباب الثاني: باب فتاوى المنار:

وهذا الباب من الأبواب الثرية في مجلة المنار، وقد بدأ كباب مفرد في المجلد الثاني الذي صدر العدد الأول منه في يوم السبت 28 شوال 1316هـ الموافق 11 مارس سنة 1899م وأنشئ هذا الباب للإجابة على "أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسع الناس عامة" والذي يبدو أن هناك أسئلة شرعية كثيرة وردت على المنار من جميع العالم الإسلامي فلذلك استجاب الشيخ محمد رشيد رضا لرغبة السائلين ولكنه حصر قبول الأسئلة من المشتركين فقط لكي تكون الأسئلة محددة وفيها شيء من الخصوصية للمشاركين للتشجيع على الاشتراك دعماً للمجلة، ثم إن هذه المجلة خصوصية في مؤسسها كرمز من رموز الإصلاح، وعالم يجذب إليه اهتمام القراء في اجتهاداته التي يخالف فيها ما يعرفه مسلمو جنوب شرق آسيا من خلال كتب الفقه التي بين أيديهم أو أنه يضيف جديداً رداً على المستجدات الملحة.

الأسئلة: موضوعاتها وتصنيفاتها:

تلقي باب "فتاوى المنار" خمسين سؤالاً تضمنت موضوعات متنوعة منها:

أولاً: أحد عشر سؤالاً في العبادات تضمنت الموضوعات التالية:

أسئلة في باب الصلاة وعددها ستة أسئلة(24).

22- المصدر نفسه، م 2، ص 509.

23- المصدر نفسه، م 2، ص 511.

24- هذه عبارة عن مدونة بعنوان: باب فتاوى المنار.

أسئلة في باب الصوم وعددها ثلاثة أسئلة(25).

أسئلة في باب الزكاة، سؤال واحد(26).

أسئلة في باب الحج، سؤال واحد.

ثانيًا: أسئلة في المعاملات وقد تقاسمتها أبوابها المتعددة فمنها في:

الزواج: تساؤلات عديدة(27).

الخلع: سؤال واحد(28).

الطلاق: سؤالان(29).

ثالثًا: أسئلة في الاقتصاد والجوانب المالية:

وهذا الجانب مهم وخاصة بعد أن تأسست البنوك الربوية في عهد الاستعمار الأوروبي، وشاعت أنماط جديدة في المعاملات التجارية، لتبرز أهمية بيان خطورة استحلال الربا باسم جواز أكله والتعامل به في دار الحرب فضلاً عن ظهور بعض طرق الكسب غير المشروع باسم الحظ أو اليانصيب التي ظهرت في ظل الاستعمار الهولندي، وهي شكل من أشكال القمار تشجع على البطالة والكسل وأحياناً تطرح من قبل الحكومة الهولندية.

فكانت أجوبة الشيخ بالقول بأن الأصل عدم جواز اليانصيب وأنه قمار. وأرشدهم إلى إيجاد بدائل مشروعة كالوقف والصدقات ومشروعات مخصوصة مثل مشروع القرش وغيره، ثم قال: إذا ألزمت الحكومة الهولندية الربا فإنه يجوز الأخذ به لبناء المدارس وغيرها على أن لا يأكل منه لوجود الشبه. وقد حذر رشيد رضا أهل جاوا من البنوك الأجنبية وقروضها الربوية مؤكداً على أنها تعطل الحركة التجارية المحلية، لأن الكثير منهم يقرض ويقترض بالربا، تاركين عملهم ومكتفين بالفائدة التي تعطى لهم بعلة جواز الربا بدار الحرب، واحتجوا بفتوى المنار التي فهمت خطأً.

وكان الشيخ يصحح لبعض المفتين فهمهم الآيات التي يحتجون بها على غير الوجه الذي نزلت

25- محمد رشيد رضا، المنار، م 7، ج 23، ص 938، م 13، ج 11، ص 829-830، م 29، ج 4، ص 270-271،

م 31، ج 5، ص 4، م 31، ج 3، ص 189-199.

26- المصدر نفسه، م 12، ج 4.

27- المصدر نفسه، م 12، ج 4، ص 260-271، م 29، ج 4، ص 269.

28- المصدر نفسه، م 29، ج 8، ص 592-593.

29- المصدر نفسه، م 13، ج 2، ص 104-107.

فيه مثل توضيح معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ التي فسرها البعض بأنها تمييز أخذ الربا والتعاون والتعامل مع الاحتلال الهولندي والعمل في حكومتهم، مع أن هذه الآية نزلت في أهل الذمة أو غير المسلمين ممن لا يقاتلون المسلمين خلافا للذين احتلوا أراضي المسلمين، ثم يعقب بأن العمل مع المحتلين الهولنديين يجوز للضرورة فقط ولا يجوز التعاون معهم في الأعمال الحربية ضد الأمة المسلمة في جنوب شرق آسيا.

وأهم الأسئلة الملايوية التي وردت المنار في المسائل الاقتصادية والتي نذكرها كما نشرت في المجلة:

- سؤال عن حلّ مال أهل الحرب⁽³⁰⁾.
- هل يجوز للمسلم أن يأكل من بيت المرابي؟ (سؤال من مدينة سورابايا عاصمة إقليم جاوا الشرقية اليوم)⁽³¹⁾.
- هل يجوز شراء اليانصيب (الخيري) وأخذ ربحه أم لا؟ (سؤال من إحدى مدن جنوبي جزيرة بورنيو)⁽³²⁾.
- هل يجوز لكل مسلم أن يشتري أوراق أو ورقة اليانصيب الذي نسميه "Lottery" وهل هو حرام أم حلال؟ أفيدونا ولكم الأجر والثواب؟ (سؤال من مدينة سورابايا)⁽³³⁾.
- ما قولكم في اليانصيب الشائع في جميع العالم هل هو حرام أم مكروه أم جائز؟ (السؤال من صولو عاصمة إقليم جاوا الوسطى اليوم)⁽³⁴⁾.
- سؤال يقول صاحبه فيه: انتشر الربا في أراضي جاوا فاذا سألناهم عن الدافع قالوا: إن صاحب المنار أفتى بجواز الربا على الأفرنج وإننا في دار حرب؟! (السؤال من بنجر نكارا أحد المدن الجاوية)⁽³⁵⁾.

30- الشيخ محمد رشيد رضا، مجلة المنار، م 28، ج 8، ص 575-578 في 16 أكتوبر 1927 م.

31- المصدر نفسه، م 29، ج 8، ص 592-593 في 12 ديسمبر 1928 م.

32- المصدر نفسه، م 29، ج 8، ص 592-593 في 12 ديسمبر 1928 م-1347 هـ.

33- المصدر نفسه، م 34، ج 6، ص 447 في 1353 هـ-1934 م.

34- وانظر: المصدر نفسه، م 34، ج 6، ص 442-446 في 1353 هـ-1934 م.

35- المصدر نفسه، م 35، ج 2، ص 127-129 في 1354 هـ-1935 م يوليو.

رابعاً: أسئلة عن بعض الظواهر والسلوكيات الاجتماعية:

الإسلام دين يشمل جميع أنشطة الحياة الإنسانية ولا انفصام بينه وبين الجوانب الاجتماعية وقد استجدت بعض المظاهر في المجتمع الملايوي، منها ماله أصل وسابقة، ومنها ما لا سابقة له، ومن ذلك:

- حكم رسم الصور اليدوية أو الفوتوغرافية وحكم النحت⁽³⁶⁾. (سؤال من سنغافورة).
 - تربية الطيور والوحوش في الأقفاص⁽³⁷⁾. (السؤال من إحدى مدن جنوبي جزيرة بورنيو).
 - حكم الاحتفال بالمولد النبوي⁽³⁸⁾. (السؤال من إحدى مدن جنوبي جزيرة بورنيو).
 - حكم المرأة البرزة وخطاباتها على الرجال مكشوفة الوجه⁽³⁹⁾. (من إحدى المدن الجاوية).
- وقد كان الشيخ رشيد رضا يتعامل مع الأدلة بروح عملية متخصصة وينظر إلى مقاصد الشريعة ويبحث عن علة الحكم ويجمع بين الأدلة للخروج من الخلاف أو الخروج برأي يرجحه يخالف فيه من سبقه.

ففي قضية التصوير مثلاً يجمع الآراء وأدلتها ويحللها على ضوء علم الحديث ورجاله ليخرج بأن المضاهاة هي العلة والتميز بين الرسم اليدوي والنحت من جهة، والتصوير الفوتوغرافي من جهة أخرى، فالتشدد في منع النحت والرسم اليدوي لما دون ذلك بضوابطه الشرعية وللمصالح الشرعية الراجحة، والإفتاء في المنار يظهر تغيره بحسب طبيعة كل حال وبحسب الزمان والمكان والقاعدة الشرعية أن الفتوى تغير الشروط الموضوعية لها كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: "ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي".

والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا. ولكل مجتهد نصيب. وقس على ذلك المسائل الأخرى. فترية الطيور والوحوش تدخل في باب مصالح الاستفادة في التجارب العلمية لمصلحة حياة البشر أو باب التدبر والتمتع بالنظر إلى المخلوقات خصوصاً وأن ذلك متجذر في عادات سكان المناطق الإستوائية

36- المصدر نفسه، م 20، ج 5، ص 220-235.

37- المصدر نفسه، م 34، ج 6، ص 447-450.

38- المصدر نفسه، م 29، ج 9، ص 664-668.

39- المصدر نفسه، م 34، ج 6، ص 440-442. و المرأة البرزة: هي المرأة الجليلة العفيفة راجحة الرأي والتي يؤخذ برأيها في الأمور، وقد ورد ذلك الوصف في ذكر بعض النساء كالخنساء وصفية بنت سديدن.

بغاباتها كإندونيسيا، وهذا يحتاج إلى توعية تصور صحيح للكون والحياة والإنسان منطلقاً من مصادرنا الشرعية وهما الوحيان: الكتاب والسنة وما تفرع عنهما من مصادر، وليكن لتربية الحيوان والطيور هدف شرعي أيضاً.

وأما الاحتفال بالمولد النبوي فأمر ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه وفيه شبهة البدعة، ولكن لو نظرنا بدقة إلى برامج الاحتفالات في بعض المناطق، فهو له أصل في جواز الاجتماع على ذكر الله والتناصح أو الإصلاح أو لإظهار السرور والخروج بأمر فيها مصالح راجحة، على أن لا تختلط هذه الأفعال بأي نوع من أنواع المنكرات أو المغالاة، وكذلك خروج المرأة المسلمة إلى المحافل العامة لضرورات التعلم والتعليم وإبداء الرأي في مسألة من المسائل للقيام بدورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ مع التعفف والاعتزان لا كما تتبدل به بعض النساء مما يخرج عن هذا المعنى، وأن لا يخالط خروجهن مخالقات شرعية بحسب ما نصّ عليه الوحيان، وأما أوضاع اجتماعية اختلط فيها الحق بالباطل أو الحسننة بالسيئة فقد أجاز الشيخ رشيد خروج المرأة إلى المحافل العاملة بضوابط أكد عليها الشارع الحكيم.

خامساً: قضايا تخص الاعتقادات والأفكار:

مما كان يطرح من أسئلة تصل من جنوب شرق آسيا إلى المنار ما يخص باب الاعتقادات والذي في الأصل هو ما يتضمن أركان الإيمان وما يتعلق بها شرعاً وتفصيلاً وتفريقاً، وقد بحث علماءنا من أهل السنة والجماعة القضايا التي تتعلق بالإمامة ومباحثها في كتب العقائد مع أنها من الأحكام الفقهية، وذلك لأن الشيعة ناقشوا مسألة الإمامة في كتب العقائد لاعتقادهم بأن الإمامة ركن من أركان الإيمان. فلذلك نجد أن علماء أهل السنة تكلموا عن هذه القضية السياسية في غير بابها للرد على الشيعة الذين جعلوها في كتب العقائد، كقضية الخلافة ومن هو الأولى بها، والخلافات السياسية التي استتبتها بما سمي بالفتنة.

ويضاف إلى هذا الباب مناهج الطرق الصوفية والفرق الإسلامية ومدى مخالفتها أو موافقتها للمصدرية الشرعية الكتاب والسنة، ويتفرع عن هذا كذلك الحديث عن تفرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب والقول بأن كلها في النار إلا التي تسير على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي" وفي زيادة "وهي الجماعة" والتي تتضمن المذاهب والأشخاص الذين يتحرون السير على ما كان عليه رسول الله وأصحابه.

ويخرج من ذلك الزنادقة والفرق المبتدعة والأحزاب المستحدثة التي تقوم على الكفر بالله أو تقدم أفكارها على وحي الله تعالى في العبادات والمعاملات، ولا يعني تعدد المدارس الفقهية أو الدعوية في أهل السنة والجماعة أنهم فرق، لأنهم جميعاً مجتمعون على "ما عليه رسول الله وأصحابه".

وقد كان رشيد رضا يجمع الأحاديث التي وردت في الموضوع، ويقوم برّد بعضها إلى بعض مستعيناً بما كتبه ابن تيمية وما كان يدعو إليه الأفغاني، مؤكداً في مقالاته على دعوة الجمعيات الإسلامية إلى التقارب والتعاون على إنجاح وحدة المسلمين.

كما كان يجيب على تساؤلات أخرى عديدة يطرحها قراء من منطقة جنوب شرق آسيا، ومنها قوله على بعض السائلين بأنه لا تناقض بين ظهور الفتن وخيرية القرون الأولى، إذ الفتن كان بعضها بخطأ وقع فيه البعض، والنوع الآخر ليس من فعل أهل الخيرية وإنما من أفعال الزنادقة والمجوس، وقد وعى الدرس أحد طلاب الشيخ رشيد رضا فطلب من الشيخ أن يطلب من شكيب أرسلان ليكتب في أسباب قوة الإفرنج واليابان وأسباب ضعف المسلمين وجمعت هذه المقالات في كتاب بعنوان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟؟.

كما أشار الشيخ رشيد رضا إلى الإعجاز في قضايا عديدة، منها ما يتعلق بحادثة تحقيق اسم ملك الموت وحكم عدم معرفة اسمه، فأجاب الشيخ رشيد رضا بأنه لم يرد نص صحيح يصرح باسم ملك الموت، فعدم الإيمان بالاسم لا يكفر بخلاف أسماء الملائكة الذين نص القرآن الكريم على أسمائهم، فمن لا يؤمن بأسمائهم فقد كذب صريح القرآن، وهذه الفتوى جاءت تعقيماً على مقال كتبها محمود عزمي أحد الأطباء المشهورين الذي نفى وجود عزرائيل ملك الموت لعدم وجود نص صحيح ورد باسمه، وهذا سوء فهم منه لعدم تفريقه بين نفي الاسم ونفي الوجود.

ومن أهم الأسئلة التي دار حولها الجانب العقدي والفكري:

- السؤال عن الفتن التي وقعت في القرون الأولى مع وصف رسول الله لها بالخيرية، ويقول صاحب السؤال: ألتمس من فضيلتكم أن تبينوا لي مقصود هذا الحديث: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". (من بكالونغان في إقليم جاوا الوسطى)(40).
- سؤال هل مات معاوية على الإيمان؟ وهذه قضية اشتط فيها البعض فتجرءوا على أحد صحابة رسول الله(41).

40- الشيخ رشيد رضا: مجلة المنار، م 28، ج 7، ص 502-504، وانظر المصدر نفسه، م 4، ج 12، ص 897-906.

41- المصدر نفسه، م 12، ج 5، ص 339-341.

- تعليق وسؤال عن الإيمان بملك الموت دون اسمه. وقدم السؤال أحد تلاميذ الشيخ رشيد رضا الملايوين الذين درسوا عليه في مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر، واسمه بسيوني عمران إمام راجا (سؤال من جنوب جزيرة بورنيو)(42).
- اختلاف الأحزاب الإسلامية في مفهوم العمل السياسي، فجمعية المحمدية الإندونيسية تقول: بأن الإسلام ليس دين سياسة ولا يمنعنا ذلك من التوظيف في دوائر الدولة - المحتلة - السياسية لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...﴾ وأما حزب شركة إسلام فإن مؤيديه يقولون: الإسلام دين سياسة ولا يجوز لنا التوظيف في دوائر الحكومة بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، والسؤال الذي يطرحه السائل يقول فيه: أرجو أن تشرحو لنا الحق في هذا الأمر، وهل الدين الإسلامي دين سياسة أم لا؟ (سؤال من مدينة بنجر نكارا الجاوية)(43).

سادسًا: مسائل متفرقة:

- وهذه المسائل المتفرقة كل على حدة وتتعلق بموضوع معين تعالجه، ومن هذه الأسئلة:
 - إسلام من هو دون البلوغ.
 - وهذا السؤال من وحي البيئة المحيطة حيث يوجد مع المسلمين في جنوب شرق آسيا الصينيون من المسيحيين والبوذيين أو الهندوس وغيرهم، والسؤال عن سبب قبول الرسول صلى الله عليه وسلم إسلام علي وهو ابن ثمان والزبير وهو ابن سبع.
 - حول ترجمة القرآن لمحمد علي الهندي، والسؤال هو: (44) هل يجوز العمل بتفسير مولوي محمد علي الهندي الذي فسر القرآن باللغة الإنجليزية أم لا؟ وسبب هذا السؤال أن الناس تنازعوا حول ما زعم أنها ترجمة للقرآن! - وليس معانيه - والتي زعم ترجمتها إلى الملايوية جوكر و أمينوتو، ولم يؤيده أحد من العلماء، لذلك نبه رشيد رضا على أن هذا المؤلف منحرف التفكير والعقيدة فهو من الطائفة القاديانية الضالة فلا تجوز قراءة المصحف بهذه الترجمة لمنع افتتان عامة الناس بما فيه من تحريف للمعاني.

42- المصدر نفسه، م 29، ج 9، ص 661-689.

43- المصدر نفسه، م 35، ج 2، ص 128-131.

44- المصدر نفسه، م 10، ج 1، ص 42-43.

- قضية أخرى تناولها صاحب المنار تعتبر مهمة بالنسبة للمسلمين فضلاً عن البعد الثقافي، وهي مسألة اللغة العربية، فاللغة هي المفتاح لفهم القرآن وتعليم العلوم الشرعية، ورشيد رضا يؤثّم من لا يعرف العربية من غير العرب لأن العربية مهمة لهم ليفهموا الشهادتين والأدعية المهمة وألفاظ الصلاة.

الباب الثالث: موضوعات وبحوث متنوعة في إبراز المنار لإسهام علماء الملايو في هموم الأمة:

بعض المواضيع التي تناولتها المنار تبرز لنا مدى التفاعل الذي أظهره علماء الملايو في اهتمامهم بأمور المسلمين وقضاياهم على الرغم من البعد الشاسع وراء البحار، فالمسلمون كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وبالمثل تعاطف الأمة مع شعوب الملايو ونوسانتارا وما يعانونه تحت ظلم الاحتلال الهولندي، وقد غطت مثل هذه القضايا خمس عشرة مقالة من المجلد 12-35:

أ- معاناة شعب الملايو ونوسانتارا من السياسات الهولندية:

وكان لمجلة المنار دورها الريادي في نقل تلك المعاناة على صفحاتها إلى قرائها في العالم العربي وغيره، مثل تقييد الحريات كحرية الصحافة وحرية التنقل وحرية التجمع بل حتى حرية اللباس⁽⁴⁵⁾. وعرضت لنا المنار كذلك تقارير المستشرق الشهير كريستيان سنوك الذي كان مستشاراً عمومياً للحكومة الهولندية في المسائل الإسلامية، وقد أرسلته جامعة لايدن إلى أمريكا ليلقي محاضرات عن الإسلام وخاصة عن مكة. وقد ترجمت إحدى هذه المحاضرات من قبل جريدة الهدى السورية التي تصدر في نيويورك عام (1332هـ-1914م) وقدمت لدراسته الاستشراقية التحليلية لمستقبل الإسلام ونهوضه، وكان مجمل دراسة سنوك أن الإسلام قوي لا يمكن إذايته بسهولة⁽⁴⁶⁾، ويمثل سنوك مثالا واضحا لما يعرف البعض به الاستشراق في أربعة كلمات بأنه: "العلم في خدمة الاستعمار"!

وقد كان الهولنديون يتوجسون خيفة من الحجاج الذين لهم دور كبير في مجاهدة الهولنديين وكان لهم مكانة قيادية خاصة في المجتمع المسلم في ملايا ونوسانتارا فلذلك كانوا يضيّقون على سفر الحجاج بشتى السبل⁽⁴⁷⁾.

45- الشيخ رشيد رضا: مجلة المنار، م 2، ص 682-686.

46- المصدر نفسه، م 17، ج 3، ص 210-217.

47- المصدر نفسه، م 12، ج 11، ص 856-861.

عمل تقارير عن الجمعيات الإسلامية في عالم الملايو (48):

وقد أرسل أحد المسلمين تقريراً من سنغافورة يعرف فيه بأحوال الجمعيات الإسلامية في عالم الملايو والمنطقة عموماً بعد أن طاف في جميع الجهات، نذكرها بالتسلسل:

1- سواحل اليابان: والمسلمون فيها يعدّون بالأنامل لا يعرفون شيئاً عن الإسلام وتراهم يرتادون نادي البليارد ويسمى "كّلاب".

2- الفلبين: ففيها كثير من المسلمين ولهم حكام ولهم قوة لا بأس بها، ولكن الجهل يسود فيها.

3- الصين: فلم يتمكن الرحالة من التوغل فيها لهجوم الشتاء، وسكانها أهل طقوس حيّة وعندهم نشاط وجد ولهم حمية وعصبية ولكن كثير منهم بعبقيدة فاسدة.

4- وأما إقليم سيام (تايلاند): ففيه عدد قليل من المسلمين لم يزل معهم بعض الاستقلال وخاصة في جنوب سيام، وعندهم يدرسون بعض المتون في الصلاة والنحو والإعراب وراجت بينهم الشعوذة والخرافات.

5- ملاكا: فبعضها يحكمها الإنجليز حكماً مباشراً، وحال المسلمين فيها أفضل من البقاع الأخرى لوجود حرية نسبية ومع ذلك فليس لهم جمعية أو مدرسة مؤثرة.

6- سنغافورة: أقيمت فيها جمعية منذ سنتين - يقصد في عام 1930 م - وعدد أعضائها ثلاثون شخصاً وبدأ يتعلم الأطفال التلاوة والحساب وبعض العربية.

وبالطبع هذا ما سجّله الكاتب آنذاك من انطباعات بعد زيارته بعض مدن السواحل الآسيوية ويظل ما كتبه خاضعاً للتمحيص حول أحوال المسلمين في ذلك الزمان.

مشاركة الملايويين في المؤتمرات الإسلامية:

في ظل هذه الظروف الصعبة نجد أن علماء منطقة الملايو ونوسانتارا لم يمنعهم ما يتعرضون له من قبل الهولنديين أو الإنجليز من أن يشاركوا في المؤتمرات والاجتماعات التي ينادي لها المصلحون والعلماء لإعادة النظر في الأحوال ووضع الحلول أو على الأقل إظهار مواقف واضحة من القضايا الإسلامية، ومن هذه المؤتمرات:

1- مؤتمر الخلافة في القاهرة (49) (1344 هـ - 1926 م): حيث اجتمع المسلمون للتدارس حول

48- رشيد رضا: مجلة المنار، م 2، ص 653-654.

49- المصدر نفسه، م 27، ج 3، ص 208-230.

وضع العالم الإسلامي، ولأن الخلافة قد سقطت قبل سنوات قليلة من اجتماعهم، فقد كانوا يناقشون مسألة "من الذي سيخلف منصب الخلافة المهم؟" وكان لعلماء الملايو إسهامهم، فشارك من جزيرة جاوا الدكتور عبد الكريم أمرالله والحاج عبد الله أحمد - سيأتي ذكرهما لاحقاً - ومن سلطنة جوهور شارك السيد حسن العطاس الحضرمي الأصل.

2- والمؤتمر الآخر المؤتمر الإسلامي العام في بيت المقدس⁽⁵⁰⁾: ولم يتخلف علماء الملايو ونوسانتارا عن الإسهام في هذا المؤتمر أيضاً، والذي يمثل القضية المركزية للأمة وهي الحرم المقدسي، وقد ترجمت مقررات المؤتمر لتنتقل إلى الأمة الملايوية فضلاً عن رسائل تعرف بقضية الأقصى.

المحور الثالث: مجالات تأثير فكر المنار على التوجهات الإصلاحية لمسلمي ملايا ونوسانتارا:

التأثير الذي أحدثته المنار والفكر الإصلاحي عموماً الذي ظهر آنذاك في مصر وعدد من بلاد العرب والإسلام تجاوز تلك المراسلات التي استخلصناها بعملية إحصائية تحليلية لما هو منشور بين صفحات المنار لإظهار معالم ذلك التواصل، فالكثيرون كانوا يقرأون المنار لكن أسماءهم أو آثار قراءتهم لها لم تظهر على صفحات المنار أو في الكثير من المصادر التاريخية العربية، وهذا ما نسعى إلى تقديمه ضمن ثلاثة مجالات رئيسية:

أولاً: في المجال الثقافي والإعلامي:

في ظل الحكم الهولندي لجزر نوسانتارا والحكم البريطاني لملايا بما في ذلك سنغافورة وبروناي، بدأت المداولات الفكرية تظهر رؤى مختلفة بشأن الاستجابة التي يجب على المثقفين والعلماء المسلمين تبنيها في مواجهة الاحتلال ومن أجل النهوض بأحوال المسلمين في هذه الجزر الجنوب شرق آسيوية، سجال كان مثيله دائراً في أجزاء أخرى من العالم العربي والإسلامي آنذاك، وقد برز تيار عرفه مؤرخو مسيرة الفكر الإسلامي بإندونيسيا اليوم بتيار "العلماء الإصلاحيين المعاصرين" أو "المثقفين الإسلاميين الإصلاحيين"، وذلك في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ومن هؤلاء من تأثر بشكل مباشر بمجلة المنار وخطها الفكري:

1- أولهم الشيخ محمد طاهر جلال الدين الفلكي الأزهري (1869-1956م)، والذي بعد أن درس في مكة المكرمة لمدة اثني عشر عاماً، ثم في الأزهر لأربع سنوات أخرى، عاد إلى مكة ثانية كمدرس فيها عام 1899م، لكن لم يدم له ذلك الحال لأكثر من عام وتوجه بعدها إلى نوسانتارا أو جزر الهند

50- المصدر نفسه، م 32، ج 3، ص 193-196، وانظر: م 32، ج 4، ص 284-287.

الشرقية - إندونيسيا اليوم - وعند عودته إلى بلده في سومطرا الغربية وجد نفسه رافضا لنظام العادات والتقاليد هناك لقومية المينانغكابو الذي يقدم المرأة على الرجل في الكثير من تفاصيل الحياة الاجتماعية، وهو ما كان يعتبره مخالفا للعديد من قواعد الشرع، أسطها أن المرأة عندهم هي التي تدفع مهر الزواج لزوجها وليس العكس، فقرر الانتقال إلى سنغافورة حيث وَّحد جهده هناك مع عدد من المثقفين الإسلاميين الإصلاحيين أمثال الشيخ هادي الذي ترجع أصوله إلى أصول عربية في ملاكا، والشيخ محمد سليم من عرب آتسيه، ومع آخرين من العلماء الذين درسوا في مكة والأزهر، التقت أفكار هؤلاء وانفقوا على أهمية نشرها فبدأوا في عام 1906م بطباعة مجلة اشتهرت في ملايا باسم الإمام التي كانت تعكس أفكار المنار المصرية وتسترشد بمقالات رشيد فيها، حتى وصفت مجلة الإمام في وقتها بأنها صدى مجلة المنار المصرية، مع التركيز على التعامل مع قضايا الأمة وعالم الملايو ونوسانتارا وطرح حلول لمشاكل المسلمين في المنطقة على وجه الخصوص، واضعين لها تصورا إسلاميا بما يوافق تطورات ومشاكل العصر والحالة السياسية التي تعانيها المنطقة، واستمروا في نشر مجلتهم حتى عام 1908م كمجلة إخبارية تربوية شهرية، تختار وترجم كثيرا من مقالات مجلة المنار المصرية مثل:

- الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد.
- ترك التقاليد التي تصطدم مع الشريعة الإسلامية.
- تغيير النظام التربوي والتعليمي وتجديده.
- ومناقشة أسباب تخلف المسلمين عامة والملايوين خاصة.
- والتحذير من الحركات التنصيرية في المنطقة.
- الإشادة بإنجازات مشاريع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مثل: مشروع سكة الحديد، والاتصالات التلغرافية، والعناية بالحرمين الشريفين، وفتح المدارس والكلليات، ومشاريع غيرها كثيرة، كما تناولت مجلة الإمام التحديات والصعوبات الداخلية والخارجية التي تواجه الدولة العثمانية، وشرحت ذلك بإسهاب، وغالبا ما كانت المجلة تحتّم مقالاتها بالدعاء للسلطان والدولة العثمانية، ربما لأن مسلمي ملايا ونوسانتارا كانوا يشعرون بأنهم جزء من هذه الأمة بعد ازدياد الوعي السياسي الإسلامي بينهم، فتبرع كثير منهم لصالح القضية العثمانية في حربها ضد اليونان⁽⁵¹⁾.

51- انظر: محمد رضوان عثمان، بحث مقدم لمؤتمر ذكرى مائة عام على وفاة جمال الدين الأفغاني بكوالالمبور عام

1998م، ص 11-15، وانظر: الإمام والسياسة:

Abdul Aziz mat ton. 2001 . Politik al-imam. Kuala Lumpur: dewan bahasa dan pustakan.

ولخوف السلطة الهولندية الاستعمارية من أيّ فكر إصلاحى بين العلماء والمثقفين ممن يمكن أن يحركوا تيارات شعبية ضدها فقد حظرت توزيع مجلة المنار المصرية في مدن جزر الهند الشرقية، لكنها ظلت تصل، كما تثبت الرسائل والاستفسارات المستفتية، مجلة المنار وذلك بشكل شبه سري أو سري وتداول بين مجموعات معينة من المثقفين الإسلاميين والعلماء، حتى إنه في فترة ظهور العديد من نوادي المثقفين القوميين والمسيحيين والإسلاميين، ظهر نادي للمثقفين الإصلاحيين باسم "قوم المنار"⁽⁵²⁾.

2- وفي سومطرا الغربية سعى الشبان المسلمون المثقفون بفكر إصلاحى خصوصا ممن تأثروا بمجلة الإمام إلى نشر مثل هذا الفكر، فأصدر عبد الله أحمد - الذي سنشير إليه في فقرات لاحقة - وبدعم من التجار المسلمين مثل سوتان جمال الدين أبو بكر، أصدر مجلة المنير عام 1911م، بحروف جاوية (العربية الأصل)، جمعت بين طياتها كتابا يوصفون بأنهم من العلماء الإصلاحيين في ذلك الوقت في منطقة جنوب شرق آسيا أمثال الحاج رسول واسمه الأصلي عبد الكريم أمر الله (ولد عام 1879م)، وكذلك محمد طيب عمر وجمال جمبيك وسوتان محمد سليم، وقد كشفت هذه المجلة عن فكرها تدريجيا لتحسب على التيار الإصلاحي، بنشر فكر محمد رشيد رضا وعبد غيرهما حتى صارت مما يفضل قراءته الشاب المسلم الذي يسعى إلى الدمج بين تقبله العلوم الحديثة و احتفاظه بثقافة إسلامية، كانت المجلة تركز على الدعوة إلى عودة إلى مصادر الإسلام الأصيلة وتجاوز ما اعتبره كتابها تقليداً لا اتباعاً، كما كانت تثير النقد ضد البدع والخرافات وممارسات بعض الطرق الصوفية التي كانت في نظر ذلك الشاب المسلم آنذاك منحرفة وخارجة عن تعاليم الإسلام الصافية⁽⁵³⁾.

3- وبعد الإمام والمنار صار للفكر الإسلامي الإصلاحي أنصار كثر في ملايا ونوسانتارا، فظهرت بنفس الفكر مجلات ومطبوعات أو دوريات أخرى مثل: مجلة الأخبار ومجلة البيان ومجلة البشير ومجلة الإتيقان ومجلة المنير المنار التي كانت تصدرها شبكة مدارس الطوالب في غربي سومطرا .

4- وتطور هذا الجهد عندما تعاون في عام 1916م عبد الله أحمد مع رئيس جمعية شريكة إسلام - وهي من أوائل التجمعات الإسلامية في نوسانتارا في بداية القرن العشرين - في مدينة سورابايا بشرقي

52- جذور القومية الملايوية:

Roff W R , 1967 : 59 ,The Origins of Malay Nationalism Yale University Press , New Haven

53- التحديث في عالم المينانغكابو في غربي جزيرة سومطرا في العقود الأولى من القرن العشرين :

Abdullah , 1972: 217 , Modernization in the Minangkabau world in West Sumatra : in the early

decades of the twentieth century ,Cornel University Press , Ithaca.

جزيرة جاوا على تأسيس مجلة الإسلام التي جمعت لأول مرة في صفحاتها بين الحروف الجاوية (العربية) والحروف اللاتينية (الرومية كما كانوا يسمونها)، وهو ما مثل تقبلاً هو الأول من نوعه في أوساط المثقفين الإسلاميين الإصلاحيين لاستخدام الحروف الأجنبية هذه في مطبوعة إسلامية في المنطقة، وهو ما فتح لهم المجال لتواصل أوسع مع الأوساط الفكرية الغربية⁽⁵⁴⁾، البعض رأى في ذلك صفة إيجابية وآخرون وصفوا آنذاك بـ: "المحافظين التقليديين" من العلماء حذروا من أثر ذلك على ضعف معرفة الأجيال الجديدة بالحروف الجاوية (العربية الأصل)، وأن ذلك سيمتد بأثره إلى التعليم الديني حيث سيظهر جيل من المعلمين والمثقفين المسلمين ممن لا يحسن قراءة العربية أو لغته الأم بحروفها الجاوية العربية الأصل.

ثانياً: في المجال التعليمي:

الكثير من المصادر التاريخية تؤكد أثر التغيرات الفكرية والتعليمية في أرض الحرمين أو مصر وما جاورهما على الساحة التعليمية في نوسانتارا و ملايا، وهذا ما كان المستعمر الهولندي يعيه جيداً، وقد تمثل ذلك بتوجه المسلمين من ملايا ونوسانتارا إلى أرض الحرمين بهدف البقاء لسنوات طلباً للعلم لا للحج فحسب، وهي ظاهرة تعود جذورها إلى القرن السادس عشر أو ما قبل ذلك، حتى قال المستشرق الهولندي ومستشار الإدارة الهولندية المستعمرة سنوك بأنه من الواضح أن كبار السن يتوجهون إلى الحرمين للحج أما الشباب فإنهم لا يكتفون بذلك ويبحثون عن العلم الشرعي⁽⁵⁵⁾، ولهذا بدأت إدارة هولندا التضييق على حركة الحجاج إلى مكة معتقدة بأن تعليمهم في الشرق العربي يثير فيهم فكراً إسلامياً وطنياً ممانعاً للاستعمار، لكن هذا لم يمنع مسلمي نوسانتارا من البحث عن كل السبل للوصول إلى أرض الحرمين طلباً للعلم وتأدية مناسك خامس ركن من أركان الإسلام كالمروور عبر سنغافورة مثلاً، ليرتفع عدد المتوجهين إلى الجزيرة العربية بشكل واضح في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، خاصة وأن الأغنياء المسلمين بدأوا يتنافسون في إرسال أبنائهم، وهؤلاء العائدون من الحرمين ومصر بدأوا يشكلون وعياً جمعياً جديداً بين الأمة المسلمة أزعج الهولنديين المستعمرين بشكل واضح⁽⁵⁶⁾، وكان

54- الوطنية الإسلامية وإندونيسيا المستعمرة:

Laffan M , 2003 : 177, *Islamic Nationhood and Colonial Indonesia: The Umma below the Wind* Routledg Curzon, London

55- شبكة علماء العالم العربي وجزر نوسانتارا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين:

Azra A , 1994 : *Jaringan Ulama Timur Tengah Dan Kepulauan Nusantara di Abad 17 & 18*, Mizan , Bandung

وانظر: مكة في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر:

Snouck Hurgronje , 1931: 220 , *Mekkah in the later Part of the 19th century*, E.j . brill , Leiden.

56- تاريخ إندونيسيا الحديثة: Ricklefs M C , 1993 :130 , *History Of Modern Indonesia* Macmilan, London.

ضمن هذه الظاهرة أن تواصل الكثيرون مع تيار مجلة المنار الإصلاحية الذي كان أحد روافد تأسيس شكل جديد من التعليم الديني، ولأن الأمثلة كثيرة في هذا المضمار فإننا سنكتفي ببعضها، ومن ذلك:

1- في عام 1908م عمل محمد طاهر جلال الدين مع آخرين في تأسيس مدرسة الإقبال الإسلامية وعرفت بنشرها فكراً إصلاحياً، وجمعت في منهجها بين العلوم العصرية التي تدرس في المدارس الغربية والعلوم الإسلامية والعربية.

2- وامتد تأثير هذا الفكر الإصلاحية في المجال التعليمي ليصل إلى سومطرا الغربية التي قام فيها عبد الله أحمد (ولد عام 1878م) بتأسيس مدارس إسلامية إصلاحية، ربما عكست تعليمه الأساسي الغربي ثم تلقى العلم الشرعي في مكة لأربع سنوات (1895-1899م) قبل توجهه إلى الأزهر، ليعود إلى مسجد والده في بانجانغ بادنج بغربي سومطرا ويبدأ بنشر الفكر الإسلامي الإصلاحية، ويتنقل بين المساجد في تلك المنطقة، وبعد الاتصال بطلبة المدارس النظامية التي تتصف بالنخبوية في ظل النظام الهولندي المستعمر، وملاحظته أن مستوى التعليم الديني في المساجد والزوايا لم يعد مؤثراً بما فيه الكفاية، قرر مع جمع ممن حوله تأسيس مدرسة إسلامية حديثة باسم "المدرسة العبادية"، وذلك بعد أن التقى محمد طاهر جلال الدين الذي أفاده من تجربته في الفلسفة والمنهج الدراسي لمدرسة الإقبال الإسلامية، والتي كانت أحد الأمثلة على تبني نظام تعليم الفصول والمحاضرات المحددة بزمن وبمنهج وبوسائل حديثة، لكن بعض المؤرخين ينتقد عبد الله أحمد في أنه بتقربه من الإدارة الهولندية وتلقيه دعماً مالياً منها حولها إلى مدرسة دينية حديثة الأسلوب لكنها فقدت بذلك روحها الإصلاحية الإسلامية التي من أجلها أسست، ومن ضمن ذلك الوقوف في وجه المستعمر المضطهد لمسلمي جزر نوسانتارا⁽⁵⁷⁾.

3- ومن "المدارس الإسلامية الإصلاحية" في سومطرا الغربية "مدارس الطوالب" التي أسسها عبد الكريم أمر الله، الذي بعد تتلمذه في مكة المكرمة عاد لينطلق من مسجد جمبتان بيسي (مسجد الجسر الحديدي) عام 1906م، ويصبح داعية متجولاً حتى عام 1912م حيث جدد المسجد وحوله لمتدى تعليمي مفتوح عرف فيما بعد بمدارس الطوالب، وبعد ذلك استمر تجواله في ملايا (1916م) وجاوا (1917م) حتى التقى بالكثير من الإصلاحيين وعلى رأسهم دعاة جمعية

57- الحركات الإسلامية المعاصرة في إندونيسيا:

Noer D, 1980: 52, *Gerakan Modern Islam di Indonesia* LP3ES, Jakarta.

Junus M, 1960: 54, *Sedjarah Pendidikan Islam di Indonesia* Pustaka Mahmudia, Jakarta وانظر أيضاً:

- المحمدية، والتي تأثر بفكرها الإصلاحية ليعود فيصبح أول دعايتها في سومطرا الغربية⁽⁵⁸⁾.
- 4- وزين الدين الجنوسي في سومطرا الغربية أيضاً الذي أسس عام 1915م "المدارس الدينية" للبنات، متبعها المناهج الأزهرية، واستقبلت بحفاوة من قبل قومية المينانغكبا وحتى فتح لها 15 فرعاً مع حلول عام 1922م.
- 5- وهناك غيرهم من الدعاة الإصلاحيين ممن تأثروا بالفكر الإصلاحية في مصر والتي كانت المنار أحد مصادره ووسائل نشره، كما انتفعوا مما تعلموه في الحرمين، وقد انعكس ذلك كما سبق على تأسيسهم مدارس إسلامية عصرية مثل جلال الدين طيب وجمال جبيك (مؤسس مدرسة إنجيك جامبيك المسجدية عام 1918م)، وإبراهيم موسى ولطيف شكور (مؤسس مدرسة التربية الحسنة في عام 1912م).
- وقد أسس هؤلاء بمجموعهم في عام 1918م اتحاد مدرسي الدين الإسلامي، وكان أول رئيس له زين الدين الجنوسي.

المجال الثالث: حركيا أو مؤسساتيا:

حتى نكون أقرب إلى الدقة تاريخياً في وصف الواقع الفكري لنوسانتارا وملايا مع بداية القرن العشرين فإنه من الضروري الإشارة إلى أن الفكر الإصلاحية الذي ظهر وتبلور في شكل حركات إسلامية إصلاحية في نوسانتارا وملايا يعود إلى تواصل علمي بدأ في القرن السابع عشر مروراً بالقرن الثامن عشر والتاسع عشر، تواصل بين علماء نوسانتارا وملايا من جهة، وعلماء مدرسة الحرمين و مصر واستنبول وما جاورها من جهة ثانية.

هذا التواصل أثمر بروز علماء أعلام من جاوا وسومطرا وسولاويزي وملايا لم يشتهروا في جزرهم فحسب بل صار لبعضهم مكانته في الحرمين أيضاً مثل محمد أرشد البنجاري (1710-1812م) ومحمد النووي الباتاني (1815-1898م) والشيخ أحمد الخطيب (1860-1916م) الذي طبع عشرات الكتب في مصر خلال إقامته في مكة، ومثل حالة مختلفة من التفاعل مع فكر محمد عبده والمنار عموماً، فمع أنه عرف بالتزامه بالفقه الشافعي وعدم تشجعه للخروج على المذهب، فإن كتاباته تشهد في بعض جوانبها بتأثره بدعوات الاجتهاد خارج نطاق المذهب الفقهي الواحد، بل إنه كان يشجع طلابه على قراءة كتابات

عبده لنقدها، غير أن ذلك صار بمثابة الجسر بين رفض هذه الدعوات وتقبلها بالنسبة لبعض طلبته (59)، وغير هؤلاء كثير (60).

وامتداداً لهذا التواصل جاءت مجلة المنار - التي هي موضوع بحثنا - لتكون وسيلة تواصل جديدة في فترة كان الاتصال فيه عبر المحيطات أصعب بكثير من التواصل السريع في يومنا هذا، هذا التواصل كان أحد المؤثرات - وليس هو المؤثر الوحيد بالتأكيد - في عملية بلورة تدريجية لتقبل الكثيرين في نوسانتارا وملايا لفكر إصلاحي إسلامي وترجمته في شكل منظمات إسلامية ظهرت في بدايات القرن العشرين، وما يزال لها حضور واضح في إندونيسيا اليوم وقد مضى على استقلالها أكثر من 61 عاماً. كانت المنار رافداً من روافد تشكيل تيار يحمل فكر المجلة أطلق عليه ابتداء تيار "المناريون" و "الرضويون"، وفي طيات مراسلات مسلمي ملايا ونوسانتارا مع الشيخ رشيد رضا الكثير من توصيف الواقع الصعب الذي يواجهه الشباب المسلمون الإصلاحيون في جنوب شرق آسيا في محاولتهم للإصلاح والنهوض، ولطالما رد الشيخ رشيد رضا على تلك المراسلات بنصائحه التي أكد فيها للعلماء والشعوب على أهمية أن يشكلوا جماعة واحدة من رؤساء الجمعيات الإسلامية على اختلاف أنواعها وأهل الرأي من الأمة، وربما كان لنداءاته ونصائحه تلك صدى، فتأثر بها وبفكر المنار وما يدور في فلكها الإصلاحي مؤسسو الجمعيات التالية:

1 - دحلان مؤسس المحمدية:

الشيخ أحمد دحلان (1868-1923م) اسم له شهرته في الساحة الفكرية والحركية الإسلامية في إندونيسيا حتى يومنا هذا بفضل امتداد جمعية المحمدية التي أسسها والتي تعتبر ثاني كبرى المنظمات الإسلامية في إندونيسيا اليوم، ولد دحلان لأب صاحب علم شرعي هو الحاج أبو بكر الخطيب في مسجد سلطان جوغجاكرتا بوسط جاوا، سكن مكة بين عام 1890م و 1891م، ثم عاد إلى مكة ثانية عام 1903م، ومع أنه لم يتلق تعليماً غربياً لكن تردده على البلاط السلطاني أكسبه بعض المهارات كالكتابة والقراءة بالحروف اللاتينية، ثم بدأ خطواته الأولى في السعي لتأسيس مدارس حديثة تعلم اللغة العربية والدروس الإسلامية بالتعاون مع الجمعية الخيرية - يأتي ذكرها لاحقاً - وغيرها من نوادي المثقفين

59 - الحركات الإسلامية الحديثة في إندونيسيا، 1900 - 1942م:

Noer, 1973 : 32, *The Modernist Movements In Indonesia 1900-1942*, Oxford University Press. Singapor.

60 - المدارس والسياسة: حركة الشباب في غربي سومطرا:

Abdullah T, 1971:7, *Schools And Politics : the Kaum Muda Movement In West Sumatra* Cornel Modern Indonesia.

الإصلاحيين بمن فيهم بعض القوميين، حتى توج عمله في عام 1911م بتأسيس أول مدرسة دينية حديثة في الصحن السلطاني في جوغجاكرتا، والتي كانت خطوته الأولى نحو تأسيس جمعية المحمدية عام 1912م لتكون المظلة الأوسع لشبكة من المؤسسات التعليمية، تبدأ بالأطفال وتنتهي بالمستوى الجامعي (61).

لقد دفع دحلان العديد من العوامل إلى تأسيس جمعيته ومنها رؤيته لممارسات الدين في جاوا على أنها لم تعد على الصفاء الذي يريده الشرع بناء على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدم فاعلية التعليم الديني المتوفر، وتساعد النشاط الكنسي للأقليات والمتلقي للدعم المالي من المستعمر الهولندي، وتجاهل الكثير من المثقفين للوضع الديني لبلادهم (62)، ويضيف مؤرخون آخرون لمسيرة التيار الإسلامي الإصلاحي في نوسانتارا أو إندونيسيا اليوم إلى جانب تلك العوامل التي دفعت دحلان إلى تأسيس محمدية عاملا آخر (63)، وهو عامل خارجي تمثل في التأثير بالفكر الإصلاحي الذي ظهر في عدد من مناطق العالم الإسلامي كمصر والحرمين وشبه القارة الهندية، وقد كان دحلان من المعجبين بكتابات رشيد رضا وبمؤلفات محمد عبده ك: تفسير المنار وغيرها من مؤلفاته، التي عرفها ابتداء عبر صفحات مجلة المنار، إلى جانب تأثر دحلان بكتب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وإلى حد ما بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد روي أن دحلان التقى خلال توجهه إلى مكة المكرمة في المرة الثانية بمحمد رشيد رضا وأن الرجلين تواصلتا بعد ذلك، وهو ما يعرفه مثقفو جمعية المحمدية، لكن هذا لا يعني أن المحمدية بنيت على أساس فكر معين من أفكار الإصلاحيين أو الدعاة أو العلماء السالف ذكرهم، فما يميزها هو مزج مؤسسها لخصيلة قراءته لأفكارهم وترجيحه في نظره بينها.

2- عرب نوسانتارا والجمعية الخيرية:

تأثر جمع من العرب وأغليبيتهم من أصول حضرية بالفكر الإصلاحي الذي ظهر في مصر وأرض الحرمين، فأسسوا هذه الجمعية التي انبثق عنها نظام تعليمي حديث في عام 1905م في بتافيا

61- دراسة عن حركة المحمدية في إحدى مدن جاوا الوسطى، كتاب أصله رسالة لنيل شهادة الدكتوراه:

Nakamura M , 1976 : 116 , *Crescent arise over Banyan tree : A Study Of the Muhammadiyah Movement In a central Javanese town* tesis PHD, Cornell University, USA.

62- حركة المحمدية: مدخل بيبلوغرافي:

Abdul Mu'kti Ali , 1957 :21-22 , *The Muhammadiyah Movement : A Bibliographical Introduction* thesis MA , McGill University , Montreal , Canada.

63- محمدية كحركة إسلامية:

Mustapha Kamal , 1988: 35-39 , *Muhammadiyah Sebagai Gerakan Islam* Penerbit Persatuan Yogyakarta.

(جاكرتا اليوم) يجمع بين العلوم العصرية والدينية، وفتح الباب للتعلم فيها لجميع المسلمين عربا كانوا أو غير ذلك، وكان الجيل الأول من مدرسيها يضم عربا تأثروا بالفكر الإصلاحى بمصر بل إن أحدهم وهو محمد نور قد التقى بمحمد عبده شخصيا في القاهرة.

3 - جمعية الإصلاح والإرشاد:

كما أن مجموعة أخرى من عرب نوسانتارا، وعلى رأسهم الشيخ أحمد سوركاتي وهو من أصل سوداني، أسسوا جمعية أخرى ما يزال لها وجود في كثير من أقاليم إندونيسيا اليوم وخصوصا في جزيرة جاوا، وقد تأثر مؤسسوها بالفكر الإصلاحى في مصر وانعكس ذلك على أنظمة تعليمهم الإسلامية المعروفة بأنها متقاربة مع أنظمة تعليم مدارس المحمدية⁽⁶⁴⁾.

لقد وجد الكثير من "المثقفين الإسلاميين الإصلاحيين" ممن ذكرناهم - ومن لم نذكر - أنفسهم أمام تحدٍّ فكري وثقافي وحتى سياسي صعب في نوسانتارا وملايا، في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فهم يدعون إلى الاستفادة من كل ما هو عصري ولا يتعارض مع الدين الإسلامي مع الدعوة إلى تنقية الممارسات الدينية مما يرونه خرافات وتراكبات تقليدية خارجة عما كان عليه سلف هذه الأمة، مما جعلهم يقفون في مواجهة تيار آخر من العلماء الموصوفين في نوسانتارا وملايا بالتقليديين الراضين لتحديث أنظمة التعليم أو مناهجها التي تضم كتب حواشي وشروح يمكن استبدالها بمصادر أساسية للعلوم الإسلامية سهلت توفرها الطباعة الحديثة التي دخلت منطقة نوسانتارا مع نهايات القرن التاسع عشر.

وفي نفس الوقت شكل هذا الشاب المثقف الإسلامي عبر مؤسساته المنبثقة عن قناعات إصلاحية في بدايات القرن العشرين، شكل تهديدا واضحا لسيطرة وتحكم المستعمر الهولندي ببلادهم وللأوساط العلمانية والمسيحية الداخلة في إطار تحالف منافع مع الهولنديين، بل وأوقعهم موقفهم الفكري الوسطي هذا في مواجهة أحيانا مع قوميين كانوا ما يزالون يفضلون تقديم العادات والموروث الثقافي القديم على تعاليم الإسلام، واقتصاديا كانوا في مواجهة مع سيطرة الأوروبيين وذوي الأصول الصينية على مفاصل التجارة والمال على حساب الوضع الاقتصادي للسكان الأصليين المسلمين آنذاك.

هكذا مضى الشيخ رشيد رضا في جهود تواصله العلمي الذي يحمل روح الأخوة الإسلامية مع مسلمي ملايا ونوسانتارا حتى رزئت به الأمة عام 1935م، و بكتته الجموع في عالم الملايو ونوسانتارا،

ومن ذلك أن الرابطة العلوية في جاوا أرسلت تعزي الأمة بوفاته بعد هذه المسيرة الحافلة التي بلغت 37 عامًا شقت المنار طريقها خلالها إلى بقاع العالم ومنها أرخبيل الملايو ونوسانتارا، فكان لها أثره الواضح الذي نأمل أن يكون هذا البحث قد ألقى الضوء على أهم جوانبه.

ثمرة هذا البحث ونتائجه:

- * أن الأمة المسلمة أمة حيّة ترتبط بحبل الله بكل بقاعها، والأيام والأحداث تصدق ذلك.
 - * لقد كان لمجلة المنار دور رائد في تحفيز الأمة في كل مكان لاستعادة ماضيها من خلال حاضرها.
 - * شعوب الملايو وجزر نوسانتارا شعوب حية تجذبها نزعتها الإسلامية إلى التواصل مع إخوانهم المسلمين في كل مكان، شعوب كانت وما تزال تعيش قضايا الأمة رغم بعدها الجغرافي عن العالم العربي وغيره من دول العالم الإسلامي.
 - * أهمية قراءة مجلة المنار لمعرفة حقيقة الحقبة التي كانت مَفصلاً في تاريخ الأمة الحديث بعد إلغاء الخلافة إلى جانب قراءة المجالات الفكرية المشابهة، فالكثير من جوانب الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في آسيا المسلمة تعد مجهولة بالنسبة للعرب والمسلمين البعيدين جغرافياً عنهم.
 - * دور الشيخ محمد رشيد رضا الرائد في تسجيل نبض الأمة وما يحقق بها، ومعاناته للأحداث وانغماره في أمواجها المتلاطمة حتى رسى على بر الحقيقة وختم حياته وهو يتطلع إلى جماعة وارثة لحركة الإصلاح تبدع وتختار بحسب ما تتطلبه أحوال الأمة كما صرح آخر حياته.
 - * تأثر الحركات الإصلاحية الإسلامية في الجزر المسلمة بجنوب شرق آسيا قديماً وحديثاً بتوجهات الفكر الإسلامي في المنطقة العربية، كان ذلك واضحاً عبر مراحل تاريخية عديدة، منها المتأخر خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومنها ما هو معاصر خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات، وأخيراً بفعل حركة الترجمة الواسعة لأدبيات الفكر الإسلامي من العربية والإنجليزية من مؤلفات الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية منذ أواخر التسعينيات وبداية القرن الحادي والعشرين الذي نعيشه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
